

## بكري الطائف وعون العائد

### ادمون صعب

### جريدة النهار ٢٢/٩/٢٠٠٠

"وفي ما يتعلق بالمهمات الامنية والدفاعية التي تقوم بها القوات السورية في لبنان، فقد توصلت اللجنة الثلاثية العربية العليا الى اتفاق كامل وتفاهم تام مع الشقيقة سوريا تنهي بموجبه القوات السورية الموجودة في لبنان مهماتها الامنية في مدة اقصاها سنتان، كما ورد في وثيقة الوفاق الوطني حيث تتسلم قوات الشرعية اللبنانية خلال تلك المدة مسؤولية الامن بالكامل من القوات السورية التي تقوم آنذاك باعادة تمركزها في المناطق المذكورة في وثيقة الوفاق الوطني. كما ان مدة بقاء القوات السورية في هذه المناطق تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين السورية واللبنانية. وستكون القمة العربية معنية بابرام هذا الاتفاق وتنفيذه". الامير سعود الفيصل/وزير الخارجية السعودي باسم اللجنة الثلاثية ٢٢ تشرين الاول ١٩٨٨ اثر انتهاء اجتماعات الطائف).

فاجأ بيان المطارنة المواردية الباحثين عن خشبة خلاص لانقاذ لبنان من الوضع السياسي والاقتصادي الذي تردى فيه والذي ينفاقم يوماً بعد يوم من دون ان يُظهرَ احد في السلطة، ولا خارجها، استعجالاً لايجاد هذه الخشبة. وخصوصاً ان النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات النيابية لا توحى تبديلاً في المعطيات التي تحكمت بلبنان منذ اتفاق الطائف في ٢٢ تشرين الاول، ١٩٨٩ ولاسيما بالنسبة الى الدور السوري فيه. وفي الوقت الذي يدور تجاذب كبير في الداخل، قطباه الرئيسيان رئيس الجمهورية العماد اميل لحود ورئيس الوزراء السابق رفيق الحريري حول من سيؤلف الحكومة الجديدة، والى اي مدى سيتقيد رئيس الجمهورية بنتيجة المشاورات التي سيجريها بين النواب لتكليف الشخصية التي تتال اكثرية الاصوات - في هذا الوقت صدر بيان بكري - النداء مذكراً الباحثين عن خشبة الخلاص بين بعدا وقريطم، بأن لبنان مصلوب، منذ الطائف، بين بعدا حيث "يرابط الجيش السوري في جوار القصر الجمهوري، رمز الكرامة الوطنية" و"وزارة الدفاع وما سوى ذلك من اماكن حساسة يشعر اللبنانيون لوجوده فيها بحرج كبير، لكي لا نقول بانتقاص من سيادتهم وكرامتهم الوطنية".

وتوسع البيان ليقول ان ما يعانیه لبنان من اختناق اقتصادي ينعكس ركوداً وضيقاً معيشياً، ليس سوى انعكاس لهذا الوضع الذي افقد لبنان استقلاله وسيادته وقراره الحر، وقد تجلّى ذلك بأوضح صورته في الانتخابات النيابية الاخيرة التي كان للوجود السوري دور كبير في تغليبها مما افقدها الشرعية الشعبية وإن تكن جرت ضمن الاصول القانونية بموجب ما اوحى به السوريون وفشل حتى رئيس الوزراء في

تعديله في مجلس الوزراء ووصفه بأنه "سيئٌ وفساد"، كما فشل رئيس مجلس النواب في تعديله وقال عنه انه "غير جامع" اي يشتت اللبنانيين ولا يوحد في ما بينهم.

ورأى البيان ان الانتخابات جاءت بـ"نواب لا يمثلون من كان يفترض فيهم ان يمثلوا من المواطنين"، وان نتائج هذه الانتخابات تعني ان مأساة لبنان المستمرة منذ ربع قرن ستستمر حقبة اضافية بسبب "سياسة غير سليمة مفروضة عليه (من الخارج السوري) وقد حاول عبثاً التقلت من قيودها، فما زادت محاولات الا عجزاً وضعفاً وبؤساً"، على ما جاء في البيان - النداء.

واذ علبت سوريا الانتخابات على النحو الذي تحدث عنه البيان،

لاحظ المطارنة، وعلى رأسهم البطريرك، ان العلب الصغيرة ومعظم من فيها من انتاج سوري، باستثناء قلة لا تؤثر عندما يجري اخراج محتويات العلب الصغيرة لادخالها الى العلب الكبيرة في ساحة النجمة التي طالما كانت اشبه بالسجن الكبير للشعب ومثليه.

ورب سائل: لماذا هذا البيان في هذا الوقت بالذات؟

لسبب بسيط هو ان الانسحاب الاسرائيلي في ايار وغياب الرئيس حافظ الاسد وانتخاب رئيس جديد في سوريا ورفع شعارات الانفتاح والتغيير قد اشاعت مناخاً جديداً من شأنه تصحيح مسار العلاقات اللبنانية - السورية واعادة التوازن اليها من طريق ترك اللبنانيين يختارون ممثلهم بحرية من اجل الاتيان بمجلس نواب جديد يواكب المرحلة المقبلة من المواجهة مع اسرائيل، وهي المواجهة التي لم تبخل بكركي في سبيلها بأي غال، من المساهمة في توحيد الموقف الوطني وراء المقاومة، الى ادانة اسرائيل واعتداءاتها والتصرف حيالها على اساس انها عدو لبنان وخطر على شعبه وكيانه، وذلك خلافا لما ورد في البيان الرئاسي امس.

وكانت بكركي تأمل في ان يترك اللبنانيون يتصرفون بحرية ترشحاً واقتراعاً، وهو الامر الذي لم يحصل بسبب قانون الانتخاب السييء وتقسيم الدوائر اللذين اشرفت عليهما دمشق، وقد فصل بيان المطارنة ذلك بوضوح. كما أن تغليب الانتخابات على النحو الذي جرى اتاح لسوريا تشديد قبضتها على لبنان ومصادرة قراره وتوجيه سياسته، الامر الذي عجل في اهتراء الوضعين السياسي والاقتصادي وزاد موجات الهجرة، فضلاً عن اشاعة مناخ غير مؤات لجذب الاستثمارات.

كذلك كانت تأمل بكركي، ومعها المطارنة، ان يبادر الرئيس السوري الجديد الى اتخاذ خطوات عملية في سبيل اعادة انتشار القوات السورية العاملة في لبنان، بعد اندحار الجيش الاسرائيلي في الجنوب وهربه من جحيم المقاومة التي دعمتها بكركي ودعت المسيحيين الى احتضانها متجاوزة مذهبيتها واسلاميتها. وهي أملت في ان تكون الخطوة المنشودة من جانب القيادة السورية استدراكاً وإن متأخراً، لما تخلفت سوريا

عن تنفيذه من اتفاق الطائف الذي التزمت يوم اقراره امام اللجنة الثلاثية السعودية - المغربية - الجزائرية باعادة نشر قواتها بعد سنتين من اقرار الاتفاق الى مواقع جديدة، على ان يبيت انسحاب قواتها من هذه المواقع في محادثات تجرى بين الحكومتين اللبنانية والسورية في ضوء الحاجات الدفاعية والاعتبارات الاستراتيجية التي تحدث عنها بياننا مجلس الوزراء والقصر الجمهوري.

ويخطئ من يعتقد ان ما جرى في القديس التذكاري للرئيس الشهيد الشيخ بشير الجميل، ثم في قداس سيدة ميفوق في ذكرى شهداء "القوات اللبنانية"، قد اوحى لبكري والمطارنة ما ورد في البيان. ذلك بأن بكركي لم تنسَ انها كانت شريكاً اساسياً في اتفاق الطائف، وانها هي التي امتت التغطية المسيحية الرئيسية لهذا الاتفاق مع رؤساء بقية الطوائف المسيحية الاخرى. وانه لولاها لما تحقق انجاز الطائف، يوم خُير اللبنانيون، والمسيحيون خصوصاً، بين اتفاق ينطوي على تنازلات عن صلاحيات رئيس الجمهورية لحساب مجلس الوزراء، او يستمر القتل والتفجير والتدمير للوطن، ناهيك بتهجير ابناءه، ففضل البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير سلام الطائف على الحرب المدمرة، وقاد المسيحيين في هذا الاتجاه متحملاً مسؤولية تاريخية امام الله والوطن. وقد كلف ذلك المسيحيين - دون سواهم - الكثير من الضحايا والدمار والكل يذكر حربي "التحرير" و"الالغاء" وخصوصاً حرب الالغاء التي كانت اشبه بحرب ابادة مسيحية - مسيحية بين العماد عون وفصائل من الجيش اللبناني موالين له، والدكتور سمير جعجع و"القوات اللبنانية" والتي انتهت بعملية ١٣ تشرين الاول ١٩٩٠ ونفي العماد عون الى فرنسا وتصفية العشرات من العسكريين العزل التابعين له وسوق كثيرين آخرين الى دمشق وبعضهم لم يعد الى الآن. ثم بارسال الدكتور سمير جعجع بعد قرابة ثلاث سنوات الى السجن، حيث لا يزال الى الآن.

ان ما فعله البطريرك صفير والمطارنة الموارنة في البيان - النداء التاريخي، هو فحص ضمير علني امام الشعب اللبناني وطلب الغفران عما آل اليه السير في ركب اتفاق انهي الحرب وظن البطريرك انه سينقذ لبنان، فاذا به يهدد كيانه بالزوال ويبقيه تحت الوصاية السورية مكبلاً في كل نواحي حياته.

اول من امس استراح ضمير البطريرك والمطارنة الموارنة، وبرأوا ذمتهم حيال الطائف واحدى عشرة سنة من حكمه توجت بخروج اسرائيل من لبنان، وبعدم ايفاء سوريا بالتزاماتها في الطائف حيال اعادة نشر قواتها تمهيدا لخروجها مشكورة طوعاً، او تنفيذاً للقرار ٥٢٠٠ بعدما ادت الى لبنان كبرى الخدمات وبذلت الغالي من التضحيات مما لا تتكره بكركي ولا يستطيع لبناني انكاره أو التكر له.

وبكركي التي لم نقل انها "خدعت" في الطائف من جانب سوريا واللجنة الثلاثية عندما وثقت بالذين تعاملت معهم ومنحتهم دعمها وغطاءها، لم تطلب من سوريا اكثر مما طلبته سوريا لنفسها من لبنان، اي التنسيق لا أكثر ولا أقل. لا بل ان بكركي ذهبت في البيان أبعد من ذلك حين دعت الى "التكامل الصحيح بين

لبنان وسوريا" وهو لعمرى أسمى ما يمكن ان يطلبه انسان منصف لأخيه، وهو مطلب أصدق من مطلب "العلاقات المميزة" المزيفة.

وما لم يتحقق ما دعت اليه بكركي ومطارنتها، فعبثا يبحث الرئيس العماد اميل لحود عن تنفيذ ما ورد في خطاب القسم، وسيُحكم بيان بكركي الاخير العلاقات بين لبنان وسوريا، كما سيكون مدخلا الى حوار ومصالحة حقيقيين بين اللبنانيين. فضلا عن ان اصرار بكركي عليه وتبني اللبنانيين له مسلمين ومسيحيين - وبكركي صادقة في ما نقول وتفعل - سيحققان الاستقلال الحقيقي، ويوصلان الجيش الى الحدود في الجنوب وليس الى جزين فحسب، ويحولانه من مطاردة شباب قصدوا كنيسة للاحتفال بذكرى شهدائهم الى التصدي لعدو شرس في الجنوب لن تتوقف شروره، وإن تحرر الجولان وعاد الى السيادة السورية، ورجعت الينا مزارع شبعاء، وزال عنا شبح التوطن بالتحاق فلسطينيي لبنان بمواطنيهم في الدولة الفلسطينية المستقلة. ذلك بأن المعركة مع اسرائيل والصهيونية هي معركة وجود وليست معركة حدود. يبقى أمر واحد هو، ان بيان بكركي قد أعطى العماد عون بعض الحق، لذلك لم يكن عبثا تحريك ملفه قضائيا أمس، تمهيدا لعودته الى الوطن لا لابقائه في المنفى... فتستمر مأساة لبنان وتطول !

---